الخـــاتمة

لقد لعب الوقف الإسلامي بنوعيه -سواء كان وقفا خيريا أم وقفا ذريا أهليا- دورا رئيسا في نشـر التعليم والتربية، وفي التقدم العلمي، الذي شهدته الحضارة العربية الإسلامية، فقد كان السبب الرئيـس لأغلب الإنجازات العلمية والحضارية، التي شهدها العالم في العهد الوسيط... وكان المسجد هو اللبنـة الأولى للتعليم والتدريس، ولم تكن المساجد إلا منشآت وقفية، فأول وقف في الإسلام، هـو المسـجد الذي بناه سيدنا رسول الله ﷺ عند دخوله المدينة، وهو مسجد قباء، الذي بدأ فيـه المسـلمون تعلـم القرآن، وتعلم الكتابة والقراءة، كما ألحق -فيما بعد- بالمساجد، وأسس إلى جانبها كتاتيب، تشـبه المدارس الإبتدائية في العصر الحالي، لتعليم القراءة، والكتابة، واللغة العربية، والعلوم الرياضية.(١)

وقد بلغت الكتاتيب التي تم تمويلها من أموال الأوقاف، عددا كبيرا، فمثلا عد ابن حوقـل منـها ثلاثمائة كتابا في مدينة واحدة من مدن صقلية، كما أورد ذلك في كتابه الجغرافي، وذكر أن الكتـاب الواحد كان يتسع للمئات أو الآلاف من الطلبة , وذكر أبو القاسم البلخي، مدرسة فيما وراء النـهر، كانت تتسع لثلاثة آلاف طالب ينفق، عليهم وعلى الدراسة فيها من أموال موقوفة لذلك الغرض(٢).

ولم يقتصر تأثير الوقف الإسلامي على المسجد لوحده، إذ إن الروح الدينية لدى المسلمين، عندمـا كان الإسلام مسيطرا على أذهان الناس، ونابضا بالحياة، نجد بأنهم قد وسعوا مـن هـذه الأنشـطة الاقتصادية، من أجل تطوير مجتمعهم، فأنشأوا من أموال الأوقاف المستشفيات العديدة ، التي كـانت المصدر الرئيسي للعناية بصحة الإنسان المسلم، كما اهتمت بالتعليم الطبي، الذي فاق من سبقه، وبقـي هاديا ومرشدا للنهضة الأوربية في نهضتها الحديثة... الخ(٣).

ونجد أن نظام المدارس، والتخصصات التي انتشرت بعد نمو المعرفة الإسلامية، قد اعتمـدت كليـا على الأموال الوقفية ؛ إذ لم يكن هناك وزارة للتعليم، أو تخصيصات في ميزانية الدولة، بل إن أغلـب فقهاء المسلمين، ترعرعوا ونشأوا على ما وضع من أموال الوقف تحت تصرفهم، وسـهل لهـم حيـاة

---

(١) الدور الاجتماعي للوقف د/ عبد الملك أحمد السيد ص. ٢٣١ نقلا عن من روائع حضارتنا لمصطفـى السـباعي ص. ١٢٩ ضمن بحوث في كتاب إدراة وتثمير ممتلكات الآوقاف

(٢) الدور الاجتماعي للوقف د/ عبد الملك أحمد السيد ص. ٢٣١ – ٢٣٢.

(٣) المرجع أعلاه ص. ٢٢٨ - ٢٢٩

التطور، ليس في علوم الشريعة فحسب بل، للاندماج في كل فنون المعرفة، التي يمكن تصورها في زمانهم، ولقد كان للخدمات العامة نصيب واسع من نشاطات الوقف، فنمت شبكة للطرق واسعة ربطت مشرق العالم الإسلامي بمغربه، وأنشأت الموائل (كالفنادق) والخانات لإيواء المسافرين من فقرائهم أو من تجارهم، في حلهم وترحالهم، كل ذلك مجانا من الوقف على هذه الخدمات... كما أوقف المسلمون العديد من الوقوف على المكتبات، وجمعوا الكتب من أطراف الدنيا، وبذلك ساهموا في تشعب المعرفة وتطورها، وفي صناعة الكتاب وتطوره، وفي تطوير صناعة الورق والخط وتحسينه،

ولولا هذه الأوقاف التي تنافس فيها المسلمون، لما وجدت مراكز العلم التي ذكرناها، وهي المساجد والمدرس والمكتبات، ولقد رأينا كيف أثرت هذه الأوقاف في إنشاء هذه المراكز واستمرارها، للقيام بدورها الكبير، حتى أثمرت علما غزيرا، أضاء العالم الإسلامي، بل سطع نوره على العالم أجمع، واستفادت منه البشرية بأسرها، وحسبك أن المساجد والتي هي وقف خيري أنتجت مثل فلان وفلان وفلان[1] والله أعلم

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

---

(١) نفسه ٢٢٩ – ٢٣٠ بتصرف